الأستاذ محمد الحسني وإسهامه في الثقافة العربية

أ.د. محمد أيوب الندوي[1]

مقدمة

لقد اعتنى علماء الهند وفضلاؤها بآداب اللغة العربية منذ أن انتشر الإسلام في الهند، فالقرآن والأحاديث النبوية والفقه وأصول الفقه وغيرها من العلوم الدينية كانت محور عنايتهم الخاص وتناولوها بالتأليف والتصنيف والشرح والتفسير، والعلوم الأخرى من النحو والصرف والعلوم البلاغية والشعر والأدب وما إليها، التي تعتبر أساسية لفهم وتفهيم العلوم الشرعية وألفوا فيها أيضاً، وأنشأوا معاهد ومدارس دينية في شرق الهند وغربها وفي شمالها وجنوبها، وكفى ذكر "نزهة الخواطر" و"الثقافة الإسلامية في الهند" لعبد الحي الحسني (١٨٦٩– ١٩٢٣م) و"مساهمة الهند وباكستان في آداب اللغة العربية" للدكتور زبيد أحمد، استشهادا لما قلنا. ومن أولئك العظام الذين لهم إسهامات كبيرة في مختلف المجالات الثقافية وذاع صيتهم في العالم العربي أمثال الشاعر محمد إقبال وأبو الكلام آزاد وأبو الأعلى المودودي وأبو الحسن على الندوي وغيرهم. واحتذي آثارهم كثير من الشباب وسجلوا مآثرهم فمنهم الأديب الصحفي الذي كان له صدى كبير وصيت ذائع في العالم العربي في أيامه ألا وهو الشيخ محمد الحسني رحمه الله.

الكلمات الدليلية: الشيخ محمد الحسني، الصحافة العربية الهندية،

ولد محمد الحسني (١٩٣٥ – ١٩٧٩م) بمدينة راي بريلي، أترابراديش من الولايات الشمالية بالهند في أسرة حافلة بأعمال جليلة في الدعوة إلى الإسلام وفي العلم والأدب، أسرة أبي الحسن الندوي، وكانت لأسرته إسهامات في كل فن من فنون الحياة وفي كل

---

[1] مدير المركز الثقافي العربي الهندي الجامعة الملية الإسلامية نيودلهي. الهند

جانب من جوانبها، فلقد خلقت هذه الأسرة رجال علم ودين، وخلقت المؤلفين والأدباء والأساتذة والشعراء، وحافظت على اللغة العربية وآدابها، فمحمد الحسني عضو ممتاز في هذه السلسلة الذهبية والذي زادها لمعانا وبريقاً وساهم في نشر الثقافة العربية الإسلامية في الهند، وقد ساعده الحظ إذ وجد بيئة سهلت له تعلم اللغة العربية وهيأت له تسهيلات وافرة فتربى فيها تربية حسنة، وإنه كان نادرة من نوادر الزمان إذ ولد في بلاد غير عربية لغتها ليست عربية فتعلمها وأجادها كل الإجادة نطقاً وكتابة كأنه ولد في بادية العرب ونشأ وترعرع فيها، ولكن إذا حققنا الأمر ودققناه وجدنا أن الفضل يرجع في كل ذلك إلى والده الدكتور عبد العلي الحسني (١٨٩٨ - ١٩٦١م) الذي اخترع في تربية ولده الوحيد وتعليمه طريقاً منقطع النظير غير مألوف في الهند، وذلك أنه ألح على تعلم اللغة العربية الفصحى كلغة الأم بدون قواعد وقد أثمر غرسه ثماراً يانعة حينما بدأ محمد الحسني كتابته بالعربية في أربعة عشر من عمره.

دخل محمد الحسني ميدان الصحافة العربية في ريعان شبابه ولم يترك موضوعاً من موضوعات العصر الحديث إلا وكتب فيها، وهذه الموضوعات تتنوع من أدب واجتماع إلى سياسة وتاريخ، فقد كتب في كل موضوع وقدم فيه وجهة نظر إسلامية، فالإسلام في رأيه هو الحل الوحيد لجميع المشاكل التي يعانيها العالم اليوم، وإنه كان يحث المسلمين على أن يعودوا إلى الإسلام من جديد، وكان يرجو من الدول العربية عامة والجزيرة العربية على وجه الخصوص أن تلعب دورها المرموق السامي، فهو يخاطب في مقالاته القادة العرب حيناً والشعب العربي حينا آخر ويدعوهم إلى رفع راية الإسلام.

كان محمد الحسني يهتم بالصحافة كثيراً، وكان يعتبرها سلاحاً من الأسلحة قوياً في الغزو الفكري مع الغرب، فالصحافة تقوم بدور كبير في تكوين وتعميم اتجاه أدبي وخلقي، وتحتل مكانة جوهرية في إنشاء ونشر نزعة دينية أو سياسية، ولها اتصال مباشر مع الشعب، إذ هي وسيلة هامة من وسائل الإعلام، والصحافة – عنده – لابد أن تكون نزيهة لا تلعب ولا تلهو بالأدب، وأمينة صادقة لا تكون مجرد دعاية للأفكار

الفاسدة، ولابد أن تكون حرة لا تجانب قائداً ولا حزباً وإذا أتت إلى المشاكل الإنسانية فلابد أن تحلها حلا طبيعياً.

وهناك بعض الأشخاص البارزين الذين اعتنوا بالصحافة العربية في الهند مثل عبد الله العمادي وأبو الكلام آزاد (١٨٨٨ – ١٩٥٨م) ومسعود الندوي (المتوفى ١٩٥٤م) ولكنهم لم يستطيعوا أن يستمروا فيها ولكن صاحبنا حينما بدأ بالصحافة العربية لم ينظر إلى الوراء واستمر في مهمته رغم العراقيل الشديدة ولم تستطع هذه المشاكل أن تثبط همته أو تضعف عزيمته بل وزادته إيماناً بنجاحه واستمراراً في عمله كأنه كان شخصاً حنكته الأيام فأعد لمهمته عدة وافية واستطاع أن يصدر مجلته "البعث الإسلامي" بالدوام طول عمره بمستوى يتطور علواً ورفعة ويتقدم لفظا ومعنى بتقدم الزمن، وبفضل إخلاصه وصدقه لا تزال المجلة تؤدي واجبها بعد وفاته في رئاسة صديقه المخلص البار سعيد الأعظمي الندوي (المولود ١٩٣٤م) "فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً". (سورة الأحزاب آية ٢٣).

وفي الفترة الحالكة التي أصيب فيها الشباب العربي بمرض القومية العربية التي عمت كل الدول العربية وطمت، ورأت التخلص من تعاليم الإسلام وآثاره، أهم من محاربة الصهيونية وأصبحت كالعقيدة الصلبة والمذهب السائد في كل أنحاء العالم العربي، فالجرائد والصحف تؤيدها والمجلات والرسائل تنشر فكرتها، ومن خالفها وكتب ضدها نسب إلى الرجعية والجهالة، ولذلك ضعف صوت الحق حتى كاد أن يختفي إذ ظهر محمد الحسني بمجلته "البعث الإسلامي" وقام بجانب الحق مساندا له وبدأ ينقد القومية العربية وأصحابها وناصريها وأظهر للشعب العربي خطر القومية العربية ونتيجتها الوخيمة وهناك قام في العالم العربي علماء ومفكرون إسلاميون كانوا يترددون في مواجهة تيار القومية العربية فدعوا إلى الإسلام الكامل الذي يعطي كل ذي حق حقه والذي يهديهم في كل مشكلة من مشاكل العصر و"جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً" (سورة الإسراء آية ٨١).

فلما قام محمد الحسني وهاجم القومية العربية والداعين إليها في الدول العربية

وأوضح دعاويهم الفارغة بصدق كلمته في افتتاحيات مجلة "البعث الإسلامي" حسبت له القيادة المصرية وصديقاتها حساباً لم تحسبه لمجلة أخرى وطلب رئيس تحريرها في الجهات المختصة في نيودلهي ونوقش في الموضوع ولكنه لم يلن ولم يستكن، واستمر في كتاباته حتى انقشع الضباب وتبين الصبح لذي عينين ومنعت المجلة من الدخول في مصر لسنوات ويشير هنا الدكتور عبد الله عباس الندوي [١] في قوله:

"كان الشباب العرب الإسلاميون ينقلون مقالاته في رسائلهم الشخصية ويرسلونها إلى أصدقائهم في مصر وسوريا حيث كانت مجلة "البعث الإسلامي" ممنوعا دخولها ولايزال ممنوعا في العراق وسوريا وكيف يستطيع دعاة "البعث الاشتراكي" أن يتحملوا دعوة "البعث الإسلامي"[٢].

وقد ألف محمد الحسني كتبا عديدة في اللغتين العربية والأردية أما الكتب العربية فمعظمها تشتمل على مقالاته التي نشرت في مجلة "البعث الإسلامي" وقد عالج فيها قضايا معاصرة أصيب المجتمع الإسلامي بها في البلدان العربية والإسلامية، فهو في هذه المقالات يدافع عن الإسلام ويثبت أهميته في العالم المعاصر ويهاجم على النظريات الأخرى التي تذهب بالناس إلى الدرك الأسفل في الدنيا والآخرة، وجميع هذه الكتب والمقالات في أسلوب معاصر مؤثر وعلى نهج عال ممتاز، وأما الكتب الأردية فهي في موضوعات مختلفة، اجتماعية وأدبية، دينية وعلمية وامتازت بفكرتها السامية وأسلوبها البليغ.

وقد نقل الكاتب كتباً ومقالات عديدة إلى اللغة العربية ومنها إلى اللغة الأردية، ولا

---

[١] -هو "مستشار تعليمي" لندوة العلماء ولد في بتنة، الهند درس في دار العلوم لندوة العلماء واستوطن مكة المكرمة، وله مؤلفات في تعليم اللغة العربية والأردية.

[٢] - تعمير حيات عدد خاص بذكرى الشيخ عبد السلام قدوائي الندوي والشيخ محمد الحسني والشيخ إسحاق جليس الندوي سنة ١٩٨٠م ص ٢٠٥.

يجد القارئ أي تكلف أو غموض أو ركاكة في النقل، فإنه ينقل الروح السائدة في الأصل وكأنه يمزج فكره مع فكر الكاتب ونفسه مع نفسه، فهو آية في الترجمة وله منزلة رفيعة في النقل وقد تدفقت الكلمات العربية الرائعة في الترجمة كما تدفقت في تدبيج المقالات حيث تترابط جمله بعضها ببعض.

وفي حياته الشخصية والاجتماعية كان الكاتب صورة صادقة لما يقوله ويكتبه في مقالاته، وكان مسلماً صادقاً آمن بالإسلام واستقام به وأحبه حباً شديداً وكان يعيش له، يدعو الناس إليه ويطالب المسلمين بالعودة إليه من جديد، وكان شديد البغض شديد البراءة عن كل ما يخالف الدين الحنيف من عقائد وأعمال وفلسفات واتجاهات، "وكان إضافة إلى ذلك، مثلاً في النزاهة، والهدوء والاشتغال بخاصة النفس، وحب العزلة، وكان عفيف اللسان، قليل الكلام، كثير الصمت، لم يكن خطيباً، يرى إيذاء الناس وتجريح شعورهم وعواطفهم من الكبائر، قانعاً باليسير، زاهداً في الكثير صاحب تواضع ظاهر وأدب جم"[1].

قد رزق محمد الحسني عمراً قصيراً ولكنه في هذا العمر القصير وفق لعمل جليل، وعمله يشمل ما ألفها من الكتب باللغة العربية والأردية وما ترجمها من العربية إلى الأردية أو على العكس، وبهذا الاعتبار يعد محمد الحسني من المكثرين في التأليف ورغم عمره القصير يدخل محمد الحسني في صف جده العلامة السيد عبد الحي الحسني وعمه السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في كثرة التأليف والتصنيف.

وإن ننس فلن ننسى إسهامه في نشر اللغة العربية وآدابها وفي بدء الصحافة العربية بصورة منتظمة في شبه القارة الهندية وتثبيت قوائمها في هذه البلاد، ولا نستطيع أن ننسى أو نتناسى فضله في النهضة الإسلامية التي نشاهد تباشيرها في العالم الإسلامي كله، فلقد قامت مقالاته ومؤلفاته بدور فعال في إيقاظ الوعي الإسلامي في الشباب المسلمين وفي إزالة غفوة الغافلين من المسلمين، وقد قام بالجهاد بمساعدة

---

[1] - تناقض تحار فيه العيون... ص ١٧ و١٨.

قلمه السيال السلسال وله حق أن يقول:

"ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي"[1].

ولد محمد الحسني في سنة ١٩٣٥م وتوفي في سنة ١٩٧٩م فلم يعش إلا أربعة وأربعين عاماً، ولكن هذه الفترة لحياته كانت حافلة مملوءة بنشاطه العلمي والأدبي، وقد استأثرت به رحمة الله وهو في أوج نشاطه الدعوي وتدفقه الإنشائي وحماسه الديني وعلى قمة شهرته في أوساط الدعوة والفكرة الإسلامية التي نالها من افتتاحياته القوية الملتهبة في مجلة "البعث الإسلامي" وكتابه المدوي "الإسلام الممتحن" ترنو إليه العيون وتصبو إليه النفوس في مجال الدعوة والفكرة الإسلامية.

> "... كان كاتباً ألمعياً وداعية ومفكراً وصحفياً نابغاً، تشهد له بذلك مقالاته وتحقيقاته المتعددة المنشورة في افتتاحيات مجلة "البعث الإسلامي" ومقالاته (الأضواء) [2] في مجلة الرائد الصادرة من ندوة العلماء – لكناؤ – الهند وتحت إشرافها، ومؤلف كتاب "الإسلام الممتحن" الذي يوضح قصته مع الدعوة الإسلامية منذ العقد الثاني من عمره سنة ١٩٥٤م مما يدل على تفاعل صاحبه بقضايا أمته الإسلامية منذ صغره"[3].

بدأ محمد الحسني يكتب باللغة العربية في الثالثة عشرة من عمره ولم يعرف ذلك أحد من أهل البيت وعرض مقالاً له باللغة العربية على عمه أبي الحسن الندوي للتصحيح والإصلاح مرة فكان ذلك مفاجأة له واكتشافاً لقدرته على الكتابة وإنشاء المقالات في هذه السن المبكرة، وفي سنة ١٩٤٩م ألقى عمه أبو الحسن الندوي محاضرة

---

١ - قول سيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه.

٢ - مجلة الرائد هي جريدة وقد ذكرها الكاتب مجلة خطأ.

٣ - تناقض تحار فيه العيون ص ٨٤ نقلاً من مجلة "البلاغ" الكويتية.

طويلة في الأردية في احتفال كبير في لكناؤ. فطلب منه عمه أن يترجم هذه المحاضرة إلى اللغة العربية فكأنه كان يريد اختبار كفاءته وامتحان مواهبه فنجح محمد في هذا الاختبار حيث أكمل تعريب هذه المحاضرة في وقت يسير ونشرت هذه المحاضرة مراراً بعنوان "بين الصورة والحقيقة". وهذا كان بداية نشاطه الأدبي.

أسس جميعة باسم "المنتدى الأدبي" سنة ١٩٥٤م ونشرت له مجلة "المسلمون" الشهيرة - التي كان يرأس تحريرها الدكتور سعيد رمضان، وكانت تصدر من دمشق، وكان يكتب فيها كبار الكتاب الإسلاميين في الشرق العربي- أول مقال له بعنوان "العالم الإسلامي على مفترق الطرق" وهو لم يبلغ بعد سن العشرين كان الدكتور وكثير من قراء المجلة يتصورون أن صاحبه من الكتاب الذين تقدمت سنهم ونضج فكرهم، والحقيقة أنه لايزال في ريعان الشباب وسن المراهقة الفكرية.

وفي السنة التي تلت أصدر محمد الحسني مع مساعدة زميله الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي مجلة البعث الإسلامي" فكانت مغامرة واقتحاماً وكانت هذه المهمة مهمة تنوء بالعصبة أولي القوة، ولكنه قام بقوة وعزم، وحماس ونشاط، وعاطفة وحب، واستمر في إصدارها فأحسن وأجاد.

فكانت هذه المجلة مختلفة تمام الاختلاف من المجلات التي كانت في السوق العربية، فيها الجد والنزاهة، والفكر الصائب الهادي وينعكس في بحوثها العلم والأدب والإسلام، وقد ذكر محمد الحسني ميزة مجلته ونهجه الذي اختاره فيها فقال:

> "إنها ليست مجلة كبعض المجلات الأدبية في القاهرة وبيروت تلعب وتلهو بالأدب، تعبث بالخزف والحصى وتسبح بحمد أعلام الغرب وتقدس لهم، ولا تحسن صناعة المدح والاطراء والتزلف إلى الملوك والأمراء إنها مجلة ذات دعوة وذات عقيدة وذات مبدأ وذات رسالة"[1].

ويذكر مهمة هذه المجلة الغراء في كلمته الافتتاحية للعدد الأول (أكتوبر ١٩٥٥م):

---

[1] - مجلة البعث الإسلامي، العدد الأول أكتوبر ١٩٥٥م ص ٤.

"ستحاول مجلة "البعث" أن تكون نقطة اتصال وهمزة وصل بين الهند والبلاد العربية الشقيقة، تحمل رسالة أبناء الهند إلى إخوانهم في الشرق العربي وتحمل تمنيات أبناء البلاد العربية وعواطفهم الطيبة نحو إخوانهم في الهند، وتبحث عن الأوجاع المشتركة بين البلاد"[١].

ونالت مجلة "البعث الإسلامي" الإعجاب والتقدير في الأوساط العلمية والأدبية لأنها كانت أعظم مجلة في تاريخ الصحافة العربية في شبه القارة الهندية من حيث المستوى والانتشار وقدمت للعالم العربي والإسلامي فكراً سليماً صائباً ومواد دسمة مؤثرة.

وفي سنة ١٩٥٩م (١٣٧٩هـ) أصدرت ندوة العلماء جريدة "الرائد" وهي صحيفة عربية نصف شهرية تعني بأخبار المسلمين عامة وبمسلمي الهند على وجه أخص، أصدرها الأستاذ محمد الرابع الندوي (المولود ١٩٢٩م) (ابن عمة محمد الحسني) وهذه الصحيفة تقدم مقالات وأبحاثاً قيمة في لغة أدبية سهلة، فكان الشيخ محمد الحسني من أهم كتابه وكان يكتب في الصفحة الأولى بعنوان "الأضواء" و" مع الحقيقة" و"أضواء على الطريق" فكان يزودها دائماً بكتاباته القوية ومقالاته المثيرة وقد نالت هذه الجريدة قبولاً حسناً في الأوساط العربية والإسلامية.

كان محمد الحسني يعتبر الشباب المسلم جند الإسلام وكان قد علق آمالاً بعيدة وعظيمة بهم فلما رأى عاصفة القومية العربية تلهب وقوة الإلحاد والاشتراكية تزداد، ورأى الشباب المسلم غافلين لا يأبهون بالخطر الداهم الذي سيصيبهم في عقر دارهم لم يستطع أن يصمت ويصبر وكيف يصبر وقلبه مكلوم متألم وشعوره جريح فياض، إنه كان يريد من الشباب المسلم أن ينهضوا من كبوتهم ويستيقظوا من غفوتهم ويقودوا الأمة العربية والإسلامية من طريق الانتحار إلى طريق الهداية والرشاد، فيوجه كلمته إلى الشباب ويرشدهم بقوله:

---

[١] - مجلة البعث الإسلامي، العدد الأول أكتوبر ١٩٥٥م ص ٥ – ٦.

"الشباب الإسلامي في حاجة إلى غذاء دسم يجمع بين علم ودين وأدب وليكن دينه وإيمانه هو أغلى شيئ له في الوجود، وأثمن من كل شيء في العالم، طلبة العربية بصفة خاصة يحتاجون إلى العناية بالصحافة العربية والأدب العربي الحديث، الناشئة الحديثة في الهند تحتاج إلى توجيهات رشيدة تغذيها في علمها وأدبها وثقافتها ودينها، هذه هي حاجة الناشئة الحديثة وحاجة أبناء المدارس الدينية وحاجة الشباب الإسلامي الكبرى في حين يحتاج فيه الإسلام إلى ألف قلم وألف لسان، نرى الشباب الإسلامي نائماً مستغرقاً في النوم وطلبة المدارس الدينية الذين كان يجب أن يأخذوا بالزمام ويقودوا القافلة هم في مؤخر الصفوف، فلتنته هذه المأساة ولنبدأ بحياتنا الجديدة في سبيل جديد"[١].

كان محمد الحسني يؤمن في الصحافة التي فيها الجدية والنزاهة، الصحافة التي تعرض مشكلة أو قضية ولا تتركها تؤخذ وترد بل وكان يقدم لها حلا تطبيقياً، وهذا الحل لا يكون إلا مدعماً بالدلائل والوثائق ومسلماً بالشواهد والتجارب من التاريخ وخير نموذج لصحافته مقاله الأخير الذي نشر في صحيفة "الرائد" وفي مجلة "البعث الإسلامي" في عدد رجب على إثر وفاته مباشرة ونشر بعنوان "تطابق يسر به المؤمنون" في كتابه "تناقض تحار فيه العيون وتطابق يسر به المؤمنون" وننقل هنا بعض المقتبسات من هذا المقال:

"ورأيت في هذه الجامعة بساطة في كل شيء ونظافة في كل شيء، واحتفاظاً بالمواعيد وعكوفاً على العمل، ومحافظة على الصلوات، وتوسعاً في الجزئيات وحرصاً على شرف الدعوة ونزاهتها، وعاطفة جياشة لحمل راية الإسلام ولواء البعث الإسلامي في العالم المعاصر،

---

[١] - البعث الإسلامي العدد الأول السنة الأولى أكتوبر ١٩٥٥م ص ٣.

وبرامج إسلامية وفنوناً إسلامية وآداباً إسلامية، ورأيت الطالب المسلم متمسكاً بالسنة، شغوفاً بالقرآن والحديث، حريصاً على العلم من كافة نواحيه ليستخدمه في تحقيق هدفه الكبير، ملتزماً بالرياضة البدنية والألعاب الرياضية إلى حد الضرورة لا إلى حد الهوس والجنون، مهتماً أكثر بالتدريب العسكري والتمرين على ضرب الأهداف واستعمال الآلات متشبعاً بروح التضحية والجهاد، جديراً بالمقاومة ومواجهة العدو بكفاءة ونجاح في حالات الطوارئ أو الهجوم المفاجئ، رأيته صورة حية متحركة للإسلام تشم منه رائحة الإيمان وسيما الطهارة والعفاف وترى على جبينه ملامح الهمة والطموح وتجد في عيونه بريق الأمل والتفاؤل"[١].

فكان داعياً إلى الإسلام آمن بفكرته واحتضنها وأحبها وكان يذكر العرب بصفة خاصة برسالتهم وبتاريخهم وبمركزهم في العالم وبالدور الذي يستطيع الإسلام أن يمثله في هذه المعركة الحامية والساعة الدقيقة الحاسمة، فأدى واجبه خير أداء ويشير لنا إلى هذا الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي الذي عاش معه نصف حياته أو أكثر – بقوله:

"ما قصر في أداء هذا الواجب العظيم حتى في أصعب اللحظات وأقسى الظروف وقد خفنا بعض الأحيان عليه وعلى المجلة إذ لم يلن موقفه ولم يتنازل عن الصراحة قليلاً إلا أنه أبى وظل صامداً في وجه كل طوفان وكل إعصار، وكل إرهاب وما رضي بالمسالمة مع الظروف ما دام الحق معه، فضلاً عن المساومة أو الفرار عن الميدان"[٢].

كانت افتتاحيات محمد الحسني في مجلة "البعث الإسلامي" تمتاز بدقة التصوير

---

١ - تناقض تحار فيه العيون ص ٥٤ – ٥٥.

٢ -البعث الإسلامي، العدد الأول، أغسطس وسبتمبر ١٩٧٩م، ص ٦ – ٧.

وبراعة التعبير وبقوة التأثير وتألم القلب والضمير وكانت هذه المقالات آية لنشاطه الدعوي وتدفقه الإنشائي وحماسه الديني، وكان يكتبها وقلبه فياض بالبيان العذب وقريحته متدفقة ثائرة.

ففي "فيتناميات جديدة" يريد محمد الحسني أن يفهم المسلمين عامة والعرب على وجه أخص أن الأسلحة والأموال لا تكفي للانتصار في الحروب وإنما الروح المعنوية والعاطفة القوية والوعي الحربي والأهداف الواضحة هي التي تمهد الطريق للفوز والانتصار.

وفي "النظام الإسلامي في معركة الأفكار" يعتبر محمد الحسني قوة الإسلام الذاتية التي تشمل الثقة بالإسلام كمنهج إلهي وكراهية الأنظمة الباطلة، السلاح الوحيد الذي بواسطته يستطيع الشباب المسلم أن يواجه الأنظمة السياسية المعاصرة بل ويهاجم عليها ويحقق للإسلام غلبة وانتصاراً في معركة الأفكار.

وفي يناير ١٩٧٤م نشر محمد الحسني مقال "الدرس الأول من حرب رمضان" في مجلة البعث الإسلامي في عددها الخامس، وفي هذا المقال قارن الكاتب بين حرب حزيران وحرب رمضان.

ففي حرب حزيران لعام ١٩٦٧م انهزمت الدول العربية في حربها مع إسرائيل، وأما في حرب رمضان ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣م) فاستردت الدول العربية شرفها المفقود وكرامتها الضائعة بانتصارها الباهر الرائع، ففي حرب حزيران كان الجندي العربي يحارب بروح باردة من غير عاطفة وحماس وتحت شعارات جاهلية وأما في حرب رمضان فكان الإيمان بالله، والرجوع إلى الله والإقلاع عن المعاصي، والبراءة من كل حول وطول والابتعاد عن الشعارات القديمة سبباً للانتصار.

رد على الكتاب الاشتراكيين والأدباء الثوريين في الدول العربية والإسلامية الذين يريدون هدم الدين وإشاعة الفاحشة في المسلمين فيقول:

"يا عباد سارتر"! يا أيها الأقزام المقلدون المتآمرون على الشعب العربي المسلم، ويا أيها المتنكرون لمبادئكم، المنحرفون عن جادتكم،

والسادرون في غيكم، إن تحمسكم لهؤلاء الكتاب الملحدين واحتفالكم بهؤلاء الأدباء الأشقياء في الدنيا والدين، وتصفيقكم لهذه الشرذمة القليلة من الطغاة والمجرمين – الذين سودوا وجه الإنسانية وانحطوا بها إلى درجة الكلاب والذئاب – تسوقكم في نهاية المطاف إلى مزبلة التاريخ التي تكدس فيها كل ما أبته النفوس الطاهرة المؤمنة، ومجته العقول النظيفة والأرواح الشفافة، وعافه القلب السليم والفكر المستقيم"[١].

ويشير الكاتب على الزعماء العرب أن يبنوا المصانع الحربية التي تنتج الذخيرة الحية، والبنادق، والآلات الخفيفة البسيطة وأن لا يستوردوها من دول العدو ويكتب في أسلوب هجائي لاذع.

"أفلا نفكر في أن نطلب من إسرائيل مباشرة مقداراً كافياً مستحدثاً من الأسلحة بحكم الجوار والقربى لنقضي عليها ونلقي بها في البحر؟

إن طلب الأسلحة من روسيا وأمريكا لا يختلف كثيراً عن طلبها من إسرائيل في النتيجة، إلا أن الطريق الأول مباشر مكشوف، والطريق الثاني غير مباشر مستور"[٢].

ولقد ألقى محمد الحسني في ندوة للندوة العالمية للشباب المسلم انعقدت بالرياض في أواخر ديسمبر ١٩٧٢م كلمة وقدم فيها اقتراحاً مهماً يتصل بالوضع الإسلامي وحله الإيجابي في العواصم الأوربية ثم نشره في مجلة البعث الإسلامي ليزيد نفعه ويدر بخير كثير، وهذا الاقتراح يتعلق بالشباب المسلمين الذين يدرسون في بلدان أمريكا وأوروبا ويعيشون في المجتمعات الغربية فيقول الكاتب إنه لابد من تنظيم لقاءات بين الشباب المسلم وإلقاء محاضرات إسلامية لتساعدهم على مواجهة المجتمع الغربي مع كل ما فيه من فاحشة وإغراء وتلف وضياع، ولابد أن تكون لهم

---

[١] - الإسلام الممتحن ص ١٦٧.

[٢] - نفس المصدر ص ٦٢.

مكتبة إسلامية كاملة ومؤلفات الكتاب الإسلاميين وأن تنشأ بيوت للسكنى والإقامة لهؤلاء الشباب في مختلف العواصم الغربية تحتوي على مسجد ومكتبة وقاعة للمحاضرات والندوات "فهذه الدور ستكون إن شاء الله بمثابة قلاع متينة للإسلام يأوي إليها الطالب بعد أن نال نصيبه من العلم ليجدد صلته بالله، وهدفه في هذه الحياة ويعرف موقفه ومكانته في خريطة العالم ودوره المنتظر الرائع في العالم الإسلامي" [1] واعتبر الكاتب هذا الاقتراح وسماه "أقصر طريق إلى أسرع انقلاب".

إن زعماء الدول العربية والإسلامية يحاربون الأعداء بالأسلحة المستوردة المستحدثة وعندهم قوات مكثفة ولكنهم لا ينتصرون، فما هو سر هذه الهزيمة؟ وما هو الطريق إلى الغلبة والفوز؟ يكتب محمد الحسني مقالاً بعنوان "مفتاح النصر "ونشره في العدد الأول عدد سبتمبر ١٩٧٢م (رجب ١٣٩٢هـ) وقد ذكر فيه أن ظهير الدين محمد بابر مؤسس الدولة المغولية في الهند كان في معركة يحارب حاكماً هندوسيا مشهوراً "رانا سانجا" فلم يكن يستطيع أن يغلبه حتى أحس الملك بنقص وخطأ، وأنه كان يشرب الخمر، فتاب من الخمر ومن سائر المنهيات وتاب معه جنوده، فاستطاع أن ينتصر، فهذا هو المفتاح الذي يقدمه الكاتب إلى زعماء الدول الإسلامية والعربية.

وفي المقال "مراجعة الحساب" المنشور في العدد الرابع عدد شهر نوفمبر ١٩٧٢م (شوال ١٣٩٢ هـ) يقول الكاتب إن العالم الإسلامي لا ينقصه المال ولا الدم ولا ينقصه السلاح ولا المهندسون والفنيون، أو المدرسون والمبعوثون، أو الدعاة والمرشدون، إنما ينقصه فقط الشعور بفداحة الخسارة وعظم الكارثة والتألم الحقيقي على ضعف المسلمين في هذا الحين وقلة حيلتهم وهوانهم على الناس.

ونشر له مقال بعنوان "بين ما يتطور في الإسلام وما لا يتطور" في العدد الثاني عدد أكتوبر ١٩٧٦م (شوال ١٣٩٦هـ) وفيه نقد على الذين يقولون إن دين الإسلام قد

---

[1] - المنهج الإسلامي السليم ص ٨٨.

خلق وبلي، فلابد أن يتطور مع تطور الزمان ولكن في الإسلام أموراً تتطور وأموراً أخرى لا تتطور، إن ما أمر به الإسلام وما نهى عنه لا يتغير ولا يتطور، فالعقائد والمبادئ والمقومات والمسلمات التي يستوحي منها البناء الاجتماعي للإسلام في تقويمه وتصميمه وتأثيثه لا تتطور، وأما الذي يتطور فيه فهو "طراز البناء الاجتماعي" بحساب البيئة والمناخ وضرورات العائلة ومألوفات المجتمع، هذا هو الإسلام ويقول محمد الحسني "إنه نموذج سماوي فريد للجمع بين الدنيا والدين، وبين الشدة واللين، وبين الجوهر والعرض وبين الحقائق والظواهر وبين الإيمان بالغيب والأخذ بالأسباب، وسيبقى هكذا إلى يوم القيامة، ناصع الثياب، غر الإهاب، نقي الديباجة، مشرق الصفحة، لا يضره تضليل، ولا ينال منه تزوير، ولا ينقص منه جهل أبنائه وكيد أعدائه مهما بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء"[١].

وفي العدد الأول عدد أغسطس وسبتمبر ١٩٧٨م (رمضان ١٣٩٨ هـ) نقد على رأي توفيق الحكيم (١٨٩٨م – ١٩٨٧م) حينما نادى بفكرة الحياد وعندما اعتبر مصر متحفاً للآثار التاريخية، فيقول محمد الحسني "إن مصر ليست متحفاً، وليست قطعة فنية رائعة أو بلداً كالسويسرا والنمسا، بل مصر أجل وأشرف من هذا كله، إنها ليست مصر فرعون، إنها مصر سيدنا موسى وسيدنا يوسف ومصر سيدنا محمد وشباب سيدنا محمد ﷺ، إنها مصر عمرو بن العاص وإن مصر مركز تحرك للقوى الإسلامية النبيلة الأصيلة. وقد نشر هذا النقد بعنوان "توفيق الحكيم.. خانه التوفيق".

وقد امتازت مؤلفاته ومقالاته بميزتين أساسيتين: ميزة تناول الشكل وميزة تناول الموضوع، أما من حيث الشكل فإنها كتبت في أسلوب نقي خالص ليست فيه ألفاظ عامية وليس فيه السجع والقافية إلا ما يأتي عفوا، أما من حيث الموضوع فإنه اختار الحياة الاجتماعية، فيتحدث عن عيوب المجتمع عامة وعن عيوب المجتمع الإسلامي على وجه خاص، وما يشعر به من مساوئ الأخلاق مثل القمار والخمر والرقص

---

١ - البعث الإسلامي عدد أكتوبر ١٩٧٦م، ص – ٨.

وسقوط الفتيان والفتيات في المعاصي ويقف وقفات طويلة عند الإسلام والمسلمين فيحزنه ما هم فيه من تأخر وانحطاط وانغماس في الشهوات والملذات وسقوط العلماء، إنه رمى العلماء بأنهم تركوا مسئوليتهم تجاه أوامر الدين ونواهيه فعصوا الله ورسوله، وإن القارئ ليحس أنه يسمع خطبة خطيب في المسجد بل الحقيقة أن الخطباء كانوا يحفظون مقالاته فيلقونها كخطب الجمعة ويجمل بنا أن ننقل هنا ما قاله الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي عن أسلوب مقالاته ننقل عنه:

"... فصدرت هذه المقالات، في أسلوب قوي ملتهب، هو نتيجة كل صراع نفسي رافقته قدرة بيانية، وقلم سيال رشيق، وثروة لغوية، وهذا الأسلوب له قيمته في إيقاظ الشعور وفي تحريك النفوس والعقول، ومحاربة "مركب النقص" وإعادة الثقة بصلاحية الرسالة والأمة والاعتزاز بالقيم والمفاهيم، خصوصاً إذا كان مدعماً بالدلائل والوثائق، ومسلحاً بالشواهد والتجارب، وهي طليعة كل إصلاح وانقلاب ورائد كل نهضة وتقدم، وهو الأسلوب الذي استعان به الخطباء والكتاب في العصر الإسلامي الأول واستعان به السيد جمال الدين الأفغاني وصاحبه الشيخ محمد عبده في مقالات "العروة الوثقى" التي أشعلت العالم الإسلامي حماساً وحمية وحملت الحكومات الغربية الاستعمارية على منع دخولها في الأقطار التي كانت تحكمها ولعبت دوراً لا يستهان بقيمته في إيقاظ الشعور الإسلامي وإيجاد الوعي السياسي"[1].

إن محمد الحسني قدم لنا مثلا رائعاً للكاتب الإسلامي والداعية الإسلامي والمجاهد الإسلامي، وعرض علينا عملياً كيف أحاط بالجهات المختلفة وكيف حافظ على الاتزان بينها، وكيف استقام على الطريقة، وصمد في وجه الأعاصير والزلازل

---

[1] - تقديم الكتاب "الإسلام الممتحن ص ١٦ – ١٧.

الفكرية والسياسية، التي اشتدت في عهده، والتي لا تزال في أوجها وقوتها، والتي سوف نحتاج في المستقبل إلى كثير من أمثال محمد الحسني في مختلف الظروف والمناسبات، إنه قدم لنا نموذجاً حيا للصحافة الإسلامية، هو فيها لنا قدوة نقتدي به وأسوة نتأسى، فما أقر عيناً من حذا حذوه وما أسعد حظاً من خطا خطوه.